أفعال الكلام في القرآن ودورها في إنتاج المعنى وترجمته إلى اللغة الفرنسية
The speech acts in the Quran and its role in both the production and the translation of meaning into French.

عبد الرحمان مرواني

جامعة العربي التبسي تبسة (الجزائر)

mer.abdo@yahoo.fr

تاريخ الإرسال: 2018/10/04	تاريخ القبول: 2019/03/12	تاريخ النشر: 2019/07/15

ملخص البحث

يهتمّ المترجمون أثناء نقل معاني القرآن الكريم إلى اللغة الفرنسية بالتأثير البراغماتي الناجم عن أفعال الكلام التي تسهم في إنتاج المعنى، بيد أن المعنى المراد ترجمته في نطاق أفعال الكلام، يفرض على المترجمين تجاوز الكلمات وصولا إلى المقاصد والغايات. ومن هذا المنطلق نطرح الإشكالية الآتية: كيف يمكن استثمار نظرية أفعال الكلام في الكشف عن دور الفعل الكلامي في إنتاج المعنى وترجمته في الخطاب القرآني إلى اللغة الفرنسية؟

يركّز المقال في الجانب النظري على مفهوم نظرية أفعال الكلام، وكذا شروط استخلاص المعنى من الفعل الكلامي، ثم ماهية أفعال الكلام في الخطاب القرآني. أمّا من حيث العمل الترجمي فاخترنا أن تكون المدوّنة "آيات من سورة البقرة"، لتعدّد الموضوعات والمخاطبين فيها. وقد اعتمدنا على ثلاث ترجمات إلى اللُّغة الفرنسية حيث يتم تحليل ومقارنة هذه الترجمات بما ورد في كتب التفسير. إذ تبيّن لنا أنّ للفعل الكلامي قوة انجازية مباشرة، وقوى انجازية مستلزمة مقاميا ينبغي على المترجم أن يولي لها الأهمية التامة من أجل نقل دلالات أفعال الكلام إلى اللغة الهدف بأمانة.

الكلمات المفتاحية: أفعال الكلام؛ خطاب؛ قوة انجازية؛ القصد؛ الدلالة.

Abstract

Translators, while conveying the meanings of the Holy Quran into French, are concerned with the pragmatic effect of the speech acts that contribute to the production of meaning. However, the meaning to be translated in the context of the speech acts, forces translators to go beyond words to reach the purposes and ends. In this sense, we raise the following problem: how can the theory of the speech acts be invested in revealing the role of the speech act in the production of meaning and translate it in the Quran discourse into French?

المنارة للاستشارات

www.manaraa.com

This article concentrates on the theoretical aspect of the speech acts theory as well as the conditions of extracting meaning from the speech act, and then what is the meaning of the speech acts in the Quran discourse We chose as corpus "verses of the Quran" from El-Bakara (The cow) chapter, and we are relied on three famous translation. These translations are analyzed and compared to what is said in the Quran interpretation books. We find that the speech act has direct and contextual performative forces to which translator should give full importance in order to convey honestly the signification of the speech acts to the target language.

Keywords: speech acts; discourse; performative force; intent; signification.

مقدمـة

كـان علمـاء الترجمـة ومنظروهـا يتحـدّثون عـن الترجمـة بأنواعهـا، كالترجمـة الحرفيـة والترجمـة الحـرة وغيرهما، لكن في بداية النصف الثاني من القرن العشرين أصبح الكلام يدور حول نظريات الترجمة الحديثة، مثل نظرية النص والنظرية التداولية والوظيفية، إذ تعرف كل نظرية بمجموعة من الأسس والمبادئ العلمية والطرق المنهجية المؤصلة.

كما تسعى نظريات الترجمة أيضا لاكتساب صفة العلمية على ضوء اللسانيات؛ إذ تتعرف على خصائص اللغات وأوجه الشبه والاختلاف بينها، وتحصل من خلالها على التقنيات اللغوية لنقل المعاني من اللغة المصدر إلى اللغة الهدف. وتستعين بها في معرفة بنية اللغات وخصائصها ومميزاتها، ومعرفة قضايا التواصل بين اللغات والتّقريب بينها.

وبعد أن كانت اللسانيات تدرس اللغة لذاتها، برز فريق من العلماء يشير إلى أنّ المعنى ليس شيئا متّصلا في الكلمات وحدها ولا يرتبط بالمتكلم وحده ولا المتلقّي وحده، وهنا أصبحت اللسانيات تدرس اللغة في الاستعمال أو في التواصل، وصناعة المعنى تتمثل في تداول اللغة بين المتكلم والمتلقي في سياق محدد (مادي، واجتماعي، ولغوي) وصولا إلى المعنى الكامن في كلام ما.

فالتداولية هي المجال الذي يهتم بدراسة أفعال الكلام والاقتضاء والاستلزام التخاطبي، وذلك بالاشتراك مع مجالات فلسفة اللغة ومنطق الحجاج وتحليل الخطاب. ولقد أسهمت نظرية أفعال الكلام في تغيير نظرة اللسانيين إلى الكلام، واعتبرت اللغة قوة فاعلة في الواقع ومؤثرة فيه، وبالنظر إلى البعد الديناميكي للغة ترى هذه النظرية أن لا حدود بين الكلام والفعل.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ولما كان القرآن معجزاً في أسلوبه وبيانه وطريقة نظمه، وجد المترجمون صعوبةً كبيرة في نقل معانيه إلى لغات العالم. ومن بين الظَّواهر التي شدَّت انتباههم ظاهرة أفعال الكلام، فكثرت المصنّفات وتعدّدت المقالات. فالمزاوجة بين المناهج الحديثة والآراء اللغوية التراثية قد يسهم في إضافة إضاءات جديدة لتحليل الخطاب القرآني وفهم معانيه ومقاصده وترجمتها.

ومن هذا المنطلق نطرح الإشكالية الآتية:

كيف يمكن استثمار نظرية أفعال الكلام في الكشف عن دور الفعل الكلامي في إنتاج المعنى وترجمته في الخطاب القرآني إلى اللغة الفرنسية؟

ولأنّ الموضوع يقوم أساسا على دراسة كيفية ترجمة أفعال الكلام إلى اللغة الفرنسية، أردنا أن يرتكز المقال من حيث التطبيق العملي لموضوعه على عمل ترجمي، وقد اخترنا أن تكون المدوّنة "آيات من سورة البقرة"، لتعدّد الموضوعات والمخاطبين فيها، فأغلب الصيغ والأساليب تظهر في آياتها. وقد اعتمدنا على ثلاث ترجمات لمعاني القرآن الكريم إلى اللُّغة الفرنسية وهي: ترجمة Boureïma Abdou Daouda ، وترجمة المستشرِقَيْن الفرنسيين: Jacques Berque و André Chouraqui، التي تعدّ من أبرز المحاولات المعاصرة التي لقيت صدىً واسعًا وتَوْفِية إعلامية هائلة، جعلتها تتربّع على كرسيّ الصدارة في الترجمة القرآنية حيث يتم تحليل ومقارنة هذه الترجمات بما ورد في كتب التفسير.

وكان المنهج المتّبع في هذا المقال وصفياً بالأساس، بالاعتماد على التحليل ومقارنة الترجمات، بوصفها أدوات منهجية تمكِّننا من إعطاء فكرة شاملة عن الفرق بين الترجمة والأصل.

أوّلا: نظرية أفعال الكلام

ويطلق عليها أيضا نظرية الحدث الكلامي وهي ترجمة للعبارة الإنجليزية (speech act theory) أو العبارة الفرنسية (la théorie des actes de parole)[1] ولهذه النظرية ترجمات أخرى في اللغة العربية مثل نظرية الحدث اللغوي، والنظرية الإنجازية ونظرية الفعل الكلامي وغيرها من الصيغ والعبارات وهي جزء من اللسانيات التداولية(Pragmatic Linguistics).

أصبح الدارسون والمختصون يتداولون مصطلح أفعال الكلام بشكل واسع، واختلفت تعريفاته تبعا لاختلاف المرجعيات الإبستيمولوجية التي ينطلقون منها، وحسب المتفق عليه ، فإنّ الفعل الكلامي يعني لغة ما أو التحدث بما يعني تحقيق أفعال لغوية. تستعمل أفعال الكلام في مواقف

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

تعبيرية معينة حسب سياق التلفظ، مثلا للاعتذار، التمني، الطلب، الأمر وغيرها. وقد يتكون فعل الكلام من كلمة واحدة أو أكثر، مثلا للتهاني" أهنئك" أو" أهنئك على النجاح" وهي لا تقتضي المعرفة اللغوية فحسب بل وكذلك الاستعمال المناسب للغة بحسب الثقافة الخاصة بتلك اللغة. وبالتالي، يحقق الناس أفعالا معينة من خلال استعمالهم للغة وفقا لقواعد معينة. تقول أوركيوني (Orechioni) في هذا الإطار : "إن الكلام هو من دون شك، تبادل للمعلومات، ولكنه أيضا إنجاز لأفعال مسيرة وفق مجموعة من القواعد (بعضها كلية، حسب هابرماس (Habermas)من شأنها تغيير وضعية المتلقي وتغيير منظومة معتقداته و/أو وضعه السلوكي، وينجز عن ذلك أن فهم الكلام وإدراكه يعني تشخيص مضمونه الإخباري وتحديد غرضه التداولي، أي قيمته وقوته الإنجازية"[2]

وأفعال الكلام هي أفعال نتلفّظ بها وتقوم على نظام شكلي ذي دلالة ننجز من خلالها فعلا يؤثّر على المتلقّي، وهي أيضا نشاط مادي يعتمد على أفعال قولية locutionary act لتحقيق أغراض انجازية كالطلب والأمر والوعد والوعيد، وغايات تأثيرية illocutionary act تخص ردود فعل المتلقي كالرفض والقبول، ومن ثم فهو فعل تأثيري؛ أي يكون ذا تأثير في المخاطب اجتماعيا، والفعل التأثيري (الفعل الناتج عن القول) Perlocutionary act هو الأثر الذي يحدثه الفعل الإنجازي في السامع. لقد بنيت نظرية أفعال الكلام على يد فيتغنشتاين (Wittgenstein) وطورها كل من أوستن(Austin) وسيرل (Searle) وليش (Leech) وواصل في تطويرها غيرهم من المنظرين مثل سبربر وويلسن (Sperber & Wilson).

ثانيا: شروط استخلاص المعنى من الفعل الكلامي

يشير "دانيال كلود بيلونجيه" Danielle-Claude Bélanger " إلى ضرورة توفّر أربعة شروط من خلالها نصل إلى تحديد دلالة أفعال الكلام، وبالتالي يسهل على المترجم نقل هذه الدلالة بأمانة إلى اللغة الهدف:

1.التمييز بين مستويات الدلالة

يميّز بيلونجيه بين مستويين لدلالة الملفوظ: مستوى الدلالة الخاصة بكل كلمة، والمستوى الأعمّ الذي يشير إلى قصد المتكلم. فمعنى الكلام لا يتحقّق إلاّ بالتفاعل الاجتماعي[3] . يرى سيرل أنّ:" الأفعال المتضمنة في الأقوال قصدية، فإذا أنت" لم تقصد أن تعطي وعدا، أو تصدر

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

حكما، إذا فأنت لم تطلق حكما، غير أن الأفعال التأثيرية لا يجب أن تؤدى قصديا بالضرورة. قد تقنع شخصا بشيء ما أو تدفعه إلى فعل شيء دون أن تقصد ذلك"[4]

2. تحديد العناصر التي يتكون منها معنى الكلام

ويضيف دانيال كلود أنّ معنى الكلام يتشكّل من عنصرين : المعارف القبلية المكتسبة من طرف المتلقي والمعرفة الخاصة بدلالة الألفاظ والجمل المستعملة[5]. فعلى النص أن يحقق قيمة تواصلية تعكس المتطلبات السياقية، بالإضافة إلى المتطلبات الدلالية والنصية. وتتأثّر القيمة التواصلية بعوامل مثل: الرغبات والأماني والتفضيلات والاهتمامات والمهام والمقاصد والأمزجة والقيم والمعايير[6] . ومن جملة ما يحاول المترجمون نقله في الواقع أثناء نقل المعنى من النص المصدر إلى النص الهدف هو القيم التواصلية. والقيمة التواصلية هي التأثير البراغماتي والاجتماعي الناجم عن توليد هذا المعنى.

3.التعرف على خواص المعرفة المكتسبة

السياق والمعارف المكتسبة تمدّ المتلقي بجملة من التوقعات التي تسهّل إدراكه للكلام[7]، ويمثّل ما يعرفه المستخدم عن العالم واللغة والحدث التواصلي أحد القيود على مقدرة المترجم على خلق قيمة تواصلية، كما أنّ مقدرة المترجم على إصدار نص يتمتّع بقيمة تواصلية في اللغة الهدف تقيّدها مقدرة القارئ على فهم الدلائل اللغوية وما تشير إليه. وتزدهر الترجمات في اللغة الهدف إذا كان الناطقون بها ينظرون إلى هذه الترجمات بوصفها مصدرا يمكن أن يزودهم بمعلومات جمالية وعملية واجتماعية ودينية.

4.امتلاك ذاكرة جمعية

هنا يشير بيلونجيه إلى أنّنا نمتلك ذاكرة جمعية مؤلفة من سياق مفاهيمي، ومن معارف مشتركة يفهمها المتحاورون، وما يتصل بها من معرفة باطنية بقواعد التفاعل الاجتماعي التي تخص أفعال الكلام[8]. إنّ هذه الذاكرة تجعل قضية المعنى قضية سهلة المكسب؛ ذلك أن الحقل المفاهيمي يتيح للمتلقي إدارة المعاني في أنساق خاصة يسمح بها الموقف الذي يحتضن الفعل الكلامي، ومن ثم فإن المحاور والمتلقي مضبوطان على وتيرة واحدة تتحدد فيها ومن خلالها المقاصد التي تحملها الكلمات.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

بيد أن المعنى الذي نريد ترجمته في نطاق أفعال الكلام، يفرض علينا تجاوز الكلمات ودلالاتها وصولا إلى المقاصد والغايات. يضيف دانيال كلود بيلونجيه بأنّنا نقوم بترجمة المعنى فقط، ولا يتسنى لنا أبدا إدراك المعنى الأولي الذي خامر المتكلم أو الأثر الذي يتركه على نفسية السامع[9]. وتحاول الترجمة التواصلية أن تترك في قرائها تأثيرا أقرب ما يكون إلى التأثير الذي يتركه الأصل في قرائه. والترجمة التواصلية تعطي وزنا أكبر للتأثير؛ فالترجمة التواصلية للتعبير الفرنسي Chien méchant مثلا هي: احترس من الكلب، أمّا الترجمة الدلالية فهي: كلب يعضّ أو كلب متوحش، فإنّها تعطي معلومات أفضل ولكنها أقل فاعلية وتأثيرا. مثال آخر: Défense de marcher sur le gazon الترجمة التواصلية هي: إبتعد عن الحشيش، أمّا ترجمتها دلاليا هي: ممنوع المشي على الحشيش. فالذي نلاحظه من خلال ترجمة المثالين: أنّ العنصر البراغماتي هو الذي يحوّل الترجمة الدلالية أي الإدراكية المعرفية إلى ترجمة وظيفية أي اتصالية.

بالإضافة إلى ذلك فالكلام الذي نحن بصدد ترجمته يعبّر عن فكر المتكلم وقصده، لكن لا يمكن لنا أن نجزم بإحاطته لمراد المتكلّم، كما أنّ ردّ المتلقّي على هذا الكلام أمر يصعب إدراكه؛ فقد نظنّ أنّ المتلقّي لكلام ما سيشعر بالرضا والقبول في حين أنّ المتكلّم يريد تقريعه وتوبيخه. كأن يقول له مثلا: شكرا على الثقة التي وضعتها فيك، وهو يقصد أنّ المتلقّي خان الثقة وتصرف بشكل غير لائق. فالمعنى هو ذلك الموضوع النفسي الذي وجدته الذات حين تلقيّها القول، وهو ليس عنصرا منفصلا شأن الفكرة والمضمون، بل هو حاصل سياق تتقاطع فيها آثار تلفظية يجلبها الخطاب في تياره المتواصل. فالمعنى باختصار هو المضمون والشكل معا[10]. كما تسعى الترجمة الدلالية إلى إعادة خلق النكهة والنغمة المضبوطتين للأصل، فالكلمات مقدّسة، ليس لكونها أهم من المحتوى، ولكن لأنّ الشكل والمضمون شيء واحد، وعمليات الفكر في الكلمات لا تقل قيمة عن القصد من الكلمات في ترجمة اتصالية، ولا يمكن أن نميّز بين الشكل الذي يرد فيه الكلام وما يحمله من مضمون، لأنّهما عنصران أساسيان يشكّلان المعنى بكل أبعاده، ومن خلالهما يتحقّق السياق الذي يرد فيه الخطاب ويفهم قصد المتكلم ومراده ويترك الأثر الحقيقي في نفسية المتلقّي.

ثالثا: أفعال الكلام في الخطاب القرآني

إن النص القرآني وهو كلام الله تعالى المنزل على رسوله محمد صلى الله عليه وسلم، يحتوي على نصوص متنوعة ذات وظائف مختلفة منها ما يركز على الجانب الإخباري أو التعبيري ومنه

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

نصوص داعية ومحفزة على شيء ما، ويدخل في تلك الوظائف الوظيفة الجمالية التي قال بها ياكبسون Jakobson . وعلى مترجم معاني القرآن الكريم أن يفرق بداية بين تلك الوظائف ، ويحدد على أساسها طريقته في الترجمة، ولكن ليست ثمة وظيفة من تلك الوظائف يمكن أن تظهر بمعزل عن الوظائف الأخرى، ومن ثم فعليه أن يتحرى الوظيفة المهيمنة على النص القرآني ليبني عليها طريقته في الترجمة.

والوظيفة الإخبارية والمحفزة تهيمن على أغلب النص القرآني؛ لأن الله – سبحانه وتعالى – يخبر عباده في القرآن الكريم بما كان وما يكون، ليحفزهم للعمل الصالح ويحذرهم من سوء العمل لينالوا الجنة برحمته يوم القيامة. وتتجلى هذه الوظيفة مثلاً في النص القرآني في آيات الوعد والوعيد وغيرها من القوى الإنجازية.

سنتطرق إلى نماذج من الأفعال الكلامية التي وردت في آيات من سورة البقرة، وتجدر الإشارة هنا إلى أنه بالإمكان اعتبار السورة بأكملها فعلا انجازيا عاما وشاملا يتكون من مجموعة من الأفعال الصغرى (الفرعية) ،كما يقول فان دايك: " إن متواليات أفعال الكلام الانجازية مثلها مثل الأفعال المجردة تستدعي وضع تخطيط وتأويل، أعني أن بعض المتواليات الخاصة بأفعال الكلام الانجازية المتنوعة تنوي قصدا وتخطيطا، وتفهم كما لو كانت فعلا انجازيا واحدا. ومثل فعل الكلام هذا مما ينجز بواسطة متوالية من الأفعال الكلامية يجوز أن نطلق عليه الفعل الكلامي الشامل أو الفعل الكلامي الكلي"[11].

1.التوجيهيات (Directives)

لقد راجع سيرل تقسيم أوستن للأفعال التحقيقية وصنفها إلى خمسة أفعال من بينها التوجيهيات، والغرض الانجازي لهذه الأفعال يتمثل في محاولة المتكلم التأثير في المتلقي ليفعل شيئا ما، أو يقوم بأداء عمل من الأعمال. والمسؤول عن إحداث المطابقة بين العالم والقول هو المتلقي (المخاطب)، والشرط لنجاح التوجيه هو قدرة المتلقي على أداء الفعل المطلوب[12]، يضم هذا المجال مجموعة كبيرة من الأفعال الانجازية التي تتفرع إلى مجموعة من المجالات الفرعية، وتتدرج أفعال التوجيه في قوتها الانجازية باختلاف السلطة أو المكانة بين المتكلم والمخاطب، وهذا ما يعطي أفعال التوجيهيات أشكالها المختلفة: (الأمر، النصح والاقتراح والالتماس والنهي والتهديد...) وقد تنجز الأفعال التوجيهية من خلال المنطوقات الانجازية المباشرة، أي من خلال الأفعال المعجمية

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الدالة بنفسها دلالة معجمية صريحة على الغرض الانجازي مثل" آمرك" و" أمنعك" و" اقترح" و"اطلب".. وقد تنجز من خلال المنطوقات الانجازية غير المباشرة. مثل خروج الأمر لدلالة التهديد أو الدعاء؛ فما "كان أمرا قد يصبح تهديدا في سياق ومقام معينين، وقد يصبح التماسا في سياقات ومقامات أخرى، بل إن الفعل اللغوي قد ينقلب ضد لفظه وصيغته فيصبح الفعل اللغوي الخبري فعلا إنشائيا والعكس أيضا صحيح. إن الفعل اللغوي [...] ليس فعلا أحادي المعنى ولا شفافا في اغلبه، بل للمقام والسياق دور بنائي في عملية إنتاجه"[13].

يلاحظ إذن في الأفعال التوجيهية تعدد الدلالات الانجازية للمنطوق الواحد، بحسب السياق الذي يستعمل فيه المنطوق الذي يتحدد دلاليا لا بالمدلول الموضوع له وإنما بقصد المتكلم والمقام. ويدخل في هذا الباب كل الجمل الطلبية سواء كانت أمرا، أم نهيا، أم نداء، أم استفهاما، أم دعاء، أم تمنيا، أم عرضا، أم تحضيضا.

سنكتفي في هذه الدراسة بالاستفهام كمثال:

الاستفهام:

وهو طلب ما ليس عندك، أي طلب الفهم أو العلم بشيء لم يكن معلوما بواسطة أداة من أدواته وهي "الهمزة، أم، هل، من، ما، متى، أيّان، كيف، أين، أنّى، كم، أي".

فالمستفهم يكون في طلب التصور مترددا في تعيين احد الشيئين مثل: أحاضر زيد أم غائب؟ ويكون في التصديق مترددا في تعيين النسبة بين الإثبات والنفي مثل: أنجح علي؟[14]. وبما أنّ الاستفهام طلب ما في الخارج أو طلب تحصيله في الذهن، لزم ألا يكون حقيقة إلا إذا صدر من شاك مصدق بإمكان الإعلام، فان غير الشاك إذا استفهم يلزم تحصيل الحاصل، وإذا لم يصدق بإمكان الإعلام انتفت الفائدة[15]. إذن لا يكون الاستفهام استفهاما حقيقيا إلا إذا توفرت شروطه، ومن أهم شروطه جهل المتكلم بما يسأل عنه وتقديره على المخاطب به، فإذا لم تتوفر شروطه انصرف عن معناه الحقيقي وطلبت به معان أخرى.

سنكتفي في الجزء التطبيقي ببعض الأمثلة عن الآيات وسنرفق كل آية بثلاث ترجمات وهي:

- Jacques Berque, Le Coran, essai de traduction, Editions Albin Michel, Paris, 1995.
- André Chouraqui, Le Coran, L'Appel, Robert Laffont, www.lenoblecoran.fr Version électronique : 1.0 (07/13)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

- Boureïma Abdou Daouda, Le sens des versets du Saint Qur'ân, Daroussalam, 1ère Ed, Riyadh, Royaume d'Arabie Saoudite, 1999.

1.الاستفهام بالهمزة:

	أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ(البقرة الآية 44)
Jacques Berque	Iriez-vous prescrire à autrui la piété en vous oubliant vous-même, maintenant que vous pouvez réciter l'Ecrit ? ***Ne raisonnez-vous pas ?***
André Chouraqui	Ordonnerez-vous aux humains la transparence, alors que vous l'oubliez pour vos êtres, vous qui scandez l'Écrit ? ***Ne le discernez-vous pas ?***
Boureïma Abdou Daouda	Recommandez-vous aux gens al-Birr (piété, droiture et toute action d'obéissance ordonnée par Allah) et vous oubliez vous-même de le faire? Alors que vous récitez le Livre (la Tawrât) ? ***Etes-vous donc insensés*** ?

الكلام هنا موجه إلى بني إسرائيل؛ فبعد تذكيرهم بنعمته تعالى عليهم، وضرورة الإيمان والتصديق بالحق، وإقامة الصلاة، وإيتاء الزكاة، أنكر عليهم تصرفهم ووبخهم وتعجب من حالهم، لأنهم يأمرون الغير بالبر والمعروف، ولا يمتثلون هم أنفسهم لما أمروا به وبخاصة وهم يتلون التوراة، ومن هنا جاء التوبيخ العظيم "أفلا تعقلون"، بمعنى أفلا تفطنون لقبح ما أقدمتم عليه حتى يصدكم استقباحه عن ارتكابه[16].

وجاء الاستفهام هنا للتوبيخ والإنكار بقرينة المقام ولعدم استقامة حمله على الاستفهام الحقيقي، "ويتولد منه معنى التعجب من حال الموبخ، وذلك لان الحالة التي وبخوا عليها حالة عجيبة لما فيها من إرادة الخير للغير وإهمال النفس منه، فحقيق بكل سامع أن يعجب منها"[17].

فبعد أن تحدث ابن عاشور عن خروج الاستفهام إلى التوبيخ، أخرج التوبيخ وهو من قبيل المعنى المستلزم مقاميا إلى التعجيب. فقد تم العدول من الاستفهام إلى التوبيخ ومن التوبيخ إلى

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

التعجيب. فنحن هنا وانطلاقا من صيغة لغوية واحدة نلاحظ ثلاث درجات من المعنى، أو ثلاث قوى انجازية.

معنى الصيغة ـ السؤال (قوة انجازية حرفية).

معنى المعنى ـ التوبيخ (قوة انجازية مستلزمة).

معنى معنى المعنى ـ التعجيب (قوة انجازية مستلزمة).

نلاحظ من خلال ترجمة Jacques Berque توظيفه للفعل **raisonner** الذي يفيد إعمال العقل لإنتاج الأفعال وإصدار الأحكام، كما يعني أيضا صياغة الحجج من أجل الإقناع بالقبول أو الرفض لأمر ما. والشخص الذي يعمل عقله يبحث دائما على حمل الآخرين على القيام بسلوك عاقل، فنفي التعقل هنا في الترجمة الفرنسية باستعمال الاستفهام الكلي l'interrogation totale يوحي بالتوبيخ لعدم الفطنة.

أمّا **André Chouraqui** فقد استعمل الفعل **discerner** الذي يدل على التمييز والتفريق بين أمرين، كما يعني تبيّن الأمر وإدراكه والإبصار به جيّدا.

لكن بالنسبة لترجمة **Boureïma Abdou Daouda** نلاحظ توظيفه للصفة **insensé** التي تعني الشخص الأحمق والأخرق الذي لا يفطن لقبح ما أقدم عليه حتى يصده استقباحه عن ارتكابه.

يبدو من خلال الترجمات الثلاث أنّ ترجمة **Boureïma Abdou Daouda** هي الأقرب للمعنى المقصود حيث راعت الفعل الكلامي الذي رمت إليه الآية الكريمة وهو التوبيخ والتعجيب.

2.الاستفهام بـ "كيف":

	كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَاتاً فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ(البقرة الآية 28)
Jacques Berque	***Comment opposez-vous un déni à Dieu***, quand une fois morts Il vous a fait vivre, et puis vous fera mourir, et puis encore vivre, et puis que vous Lui serez ramenés ?
André Chouraqui	***Comment effaceriez-vous Allah ?*** Vous étiez morts, Il vous a donné vie, puis Il vous fera mourir et puis Il vous

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

	revivifiera : vers Lui vous reviendrez.
Boureïma Abdou Daouda	***Comment pouvez-vous renier Allah***, considérant qu'Il vous a donné la vie alors que vous étiez inexistants? Puis Il vous fera mourir; puis Il vous fera revivre (le Jour de la résurrection) et enfin c'est à Lui que vous retournerez.

يقول الزمخشري جاءت "كيف" بمعنى الهمزة وتقدير " أتكفرون بالله ومعكم ما يصرف عن الكفر ويدعو إلى الإيمان، وهو الإنكار والتعجب، ونظيره أن تقول: أتطير بغير جناح، وكيف تطير بغير جناح؟ (...) وقد أخرج (الكفر) في صورة المستحيل لما قوى من الصارف عن الكفر والداعي إلى الإيمان"[18]. "وكيف" هنا لإنكار الحال التي يقع عليها كفرهم، وكأنه قال كيف تكفرون بالله وانتم عالمون بحالكم هذه: حال الموت، وحال الإحياء، ثم الموت، ثم النشور(الرجوع). و"معنى الاستفهام في كيف الإنكار؛ وان إنكار الحال متضمن لإنكار الذات على سبيل الكناية، فكأنه قيل ما أعجب كفركم مع علمكم بحالكم هذه"[19]. وذلك أقوى لإنكار الكفر وابلغ.

فالإنكار والتعجب، كقوتين انجازيتين مستلزمتين، متولدتان عن القوة الانجازية الحرفية الاستفهام، وبهذا تكون الآية القرآنية قد أنجزت ثلاثة أفعال انجازية غير مباشرة وهي الإنكار والتعجيب والتوبيخ بالإضافة إلى الفعل الانجازي المباشر: الاستفهام، فالآيات القرآنية مشحونة بالدلالات المتعددة .

نرى من خلال ترجمتي كل من بيرك وشوراكي اهتمامهما بنقل الاستفهام دون الالتفات إلى دلالات التعجب والانكار، إذ نستشعر فصلا بين القوة الانجازية الحرفية الاستفهام وما يأتي بعدها من التأكيد على الحال التي كانوا عليها:

(Comment opposez-vous….. quand une fois).
(Comment effaceriez-vous…..vous étiez morts).

في حين أنّ ترجمة داوودا جمعت بينهما من خلال استعماله لصيغة ربط (Locution conjonctive) وهي considérant que التي تدل على عجيب كفرهم مع علمهم بحالهم هذه.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

3.الاستفهام بـ "من":

	وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ أَن يُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ(البقرة الآية 114)
Jacques Berque	***Est-il pire attentat que*** d'empêcher dans des lieux consacrés à Dieu le rappel de Son nom
André Chouraqui	***Nul ne fraude davantage que*** ceux qui, dans les mosquées d'Allah, interdisent que son nom soit commémoré
Boureïma Abdou Daouda	***Qui est plus injuste que*** celui qui empêche que dans les mosquées d'Allah, on mentionne Son Nom (pendant les prières et les invocations).

"الآية تشير إلى منع أهل مكة النبي صلى الله عليه وسلم والمسلمين من الدخول إلى المسجد الحرام، وإطلاق النص يوحي بأنه حكم عام في منع مساجد الله أن يذكر فيها اسمه والسعي في خرابها، فهؤلاء بلغوا الذروة من الظلم، فلا يوجد من هو اظلم منهم، والاستفهام الإنكاري بمعنى النفي، بمعنى لا احد اظلم منهم".[20]

نلاحظ من خلال الترجمات الثلاث عنايتها بالقوة الانجازية المترتبة على الاستفهام الانكاري وهي النفي مع اختلاف الصيغ التركيبية حيث اعتمد بيرك على الاستفهام الكلي (Interrogation totale) من خلال تقديم وتأخير الفعل والفاعل (Inversion sujet Est-il verbe) كما ترجم (الظلم) بـ: pire attentat وإضافة الصفة pire التي تعني الأسوأ إلى الموصوف attentat، أمّا بالنسبة لشوراكي فلم يعتمد على جملة استفهامية على غرار ترجمتي بيرك وداوودا بل جاء بجملة النفي مباشرة لشعوره بالفعل الانجازي المترتب على الاستفهام وهو النفي، حيث وظف عبارة (Nul ne…que) كما ترجم الظلم بـ: fraude التي تعني الخطأ أو التزوير الذي يعاقب عليه الشرع والقانون، ثمّ أضاف لها الظرف davantage (adverbe) الذي يعني كثيرا وأكثر للدلالة على الإكثار من الخطإ حتى يصبح صاحبه معلوما لا يجاريه فيه أحد.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

في حين نجد أنّ داوودا اعتمد على الاستفهام الجزئي (Interrogation partielle) بتوظيفه لاسم الاستفهام (Qui) مع صيغة المقارنة بالأفضلية (La superlative) plus juste que على النفي بمعنى لا أحد أظلم من هؤلاء.

يبدو لنا أن ترجمة شوراكي هي الأنسب لاعتماده على صيغة النفي مباشرة وبذلك يبرز الفعل الانجازي واضحا من خلال ترجمته.

4.الاستفهام بـ "هل":

	هَلْ يَنظُرُونَ إِلاَّ أَن يَأْتِيَهُمُ اللّهُ فِي ظُلَلٍ مِّنَ الْغَمَامِ وَالْمَلآئِكَةُ وَقُضِيَ الأَمْرُ وَإِلَى اللّهِ تُرْجَعُ الامُور(البقرة الآية 210)
Jacques Berque	***Qu'attendent-ils***, sinon que Dieu leur vienne dans une nuageuse pénombre, les anges avec Lui et que tout soit consommé? ».
André Chouraqui	***Qu'attendent-ils***, sinon qu'Allah vienne à eux dans l'ombre des nuées avec les Messagers ? L'ordre est prescrit et tout ordre revient à Allah.
Boureïma Abdou Daouda	***Qu'attendent –ils*** sinon qu'Allah leur vienne à l'ombre des nuées de même que les anges et que leur sort soit (alors) réglé ? Et c'est à Allah que toute chose est ramenée.

وحرف " هل " يفيد الاستفهام ويفيد التحقيق. والاستفهام إنكاري لا محالة بدليل الاستثناء، فالكلام خبر في صورة الاستثناء، وهذا المركب ليس مستعملا فيما وضع له من الإنكار بل مستعملا إما في التهديد والوعيد للتاركين الدخول في السلم، وإما في التهكم إن كان المقصود من الضمير المنافقين واليهود أو المشركين.[21] فالاستفهام خرج إلى الإنكار، والإنكار خرج إلى التهديد والوعيد والتهكم.

يبدو في هذه الآية تشابه الترجمات الثلاث في نقلها للدلالة الإنجازية للاستفهام، إذ اعتمدت على الصيغة (que….sinon que) التي تحققت من خلالها المعاني الانجازية الملازمة للاستفهام وهي الانكار والوعيد والتهكم، بالاضافة إلى توظيفهم للفعل (Attendre) الذي يفيد معنيين:

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

معنى التأخير والتأجيل للتاركين الدخول في السلم (التهديد والوعيد)، ومعنى الترقب والانتظار للمشركين والمنافقين (التهكم).

5.الاستفهام بـ " أنّى ":

	قَالُوٓاْ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ ٱلْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِٱلْمُلْكِ مِنْهُ (البقرة الآية 247)
Jacques Berque	***Comment***, dirent-ils, ***aurait-il sur nous royauté ?*** Nous y avons plus de droit que lui…
André Chouraqui	Ils disent : ***« Serait-ce à lui de régner sur nous ?*** Nous avons plus de droit que lui à la royauté.
Boureïma Abdou Daouda	Ils dirent: ***«Comment régnerait-il sur nous?*** Nous avons plus de droit que lui à la royauté.

لقد كان مطلب بني إسرائيل لنبيهم أن يكون لهم ملك يقاتلون تحت لوائه، فلما بعث الله لهم ملكا يجادلون نبيهم في هذا الاختيار، وينكرون أن يكون طالوت ملكا عليهم لأنّهم أحق بالملك منه، ولأنه لم يؤت سعة من المال ولذلك جاء استفهامهم، " أنّى يكون له الملك". وأنّى بمعنى كيف ومن أين. وهو إنكار لتملكه عليهم واستبعاد. والمعنى كيف يتملك علينا والحال انه لا يستحق التملك لوجود من هو أحق بالملك منه.[22] كما أن الاستفهام مستعمل في التعجب، تعجب من جعل مثله ملكا، وكان رجلا فقيرا،[23] ولهذا رد عليهم نبيهم بأن الله اصطفاه وزاده بسطة في العلم والجسم.

فبالإضافة إلى القوة الانجازية المؤشر لها بأداة الاستفهام "أنّى"، أفاد التركيب الاستفهامي الإنكار والتعجب وهما قوتان انجازيتان مستلزمتان مقاميا وسياقيا.

في هذه الآية استعمل كل من بيرك وداوودا اسم الاستفهام (Comment) مكافئا في الدلالة لاسم الاستفهام أنّى بمعنى كيف ومن أين؟ وهذا التركيب الاستفهامي يستعمل في التعجب وإنكار الأمر، وليس فقط مجرد الاستفهام وطلب توضيح الأمر من المخاطب، لذلك فالترجمة الصحيحة التي تحافظ على القوة الانجازية المستلزمة للفعل الكلامي الاستفهامي هي بتوظيف صيغة الاستفهام الجزئي (Interrogation partielle) يتقدمها اسم الاستفهام

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

(Comment). أمّا بالنسبة لشوراكي فقد اقتصر على ترجمة الاستفهام حرفيا دون مراعاة القوتين الإنجازيتين المستلزمتين مقاميا وسياقيا وهما الإنكار والتعجب؛إذ جاء بصيغة الاستفهام الكلي (Interrogation totale) من خلال تقديم وتأخير الفعل والفاعل، مما يدل على وجود استفهام خال من الدلالة الإنجازية المقصودة في الآية الكريمة.

خاتمة

من أهمّ النتائج التي يمكن أن نذكرها هنا ما يأتي:

– تقوم نظرية الأفعال الكلامية على أساسين منهجيين هما: عرفية الاستعمال ومقصد المتكلم، فأمّا عرفية الاستعمال فذلك أنّ استعمال اللغة منوط بما تعارف عليه أبناؤها في ألفاظها وصيغها وتراكيبها، وما تقتضيه مقامات الكلام وأعراف الناس وأحكام الشرع، ومن ثم كان العرف عند العلماء ثلاثة أعراف: عرف لغوي استعمالي، وعرف اجتماعي وعرف شرعي.

– لا يمكننا فهم الترجمة إلاّ إذا فهمنا النصية؛ إذ علينا أن نفسّر كل العوامل التي تسهم في خلق كل من التكافؤ النصّي والتكافؤ التواصلي بين النص المصدر والنص الهدف، ولا توجد ترجمة صحيحة واحدة لنص من النصوص (هناك عدّة ترجمات للنص القرآني حسب ما يعتمده المترجم من تفاسير وكتب الحديث والأصول)، فهناك عدّة ترجمات للنص المصدر بقدر ما هناك مواقف تتطلب هذه الترجمات.

–ما يحاول المترجمون نقله في الواقع أثناء نقل المعنى من النص المصدر إلى النص الهدف هو القيم التواصلية، والقيمة التواصلية هي التأثير البراغماتي والاجتماعي الناجم عن توليد هذا المعنى، كما إنّ مقدرة المترجم على إصدار نص يتمتّع بقيمة تواصلية في اللغة الهدف تقيّدها مقدرة القارئ على فهم الدلائل اللغوية وما تشير إليه.

– تبيّن لنا أنّ للاستفهام قوة انجازية مباشرة حرفية تتمثّل في السؤال، وقوى انجازية مستلزمة مقاميا ينبغي على المترجم عموما، ومترجم معاني القرآن بشكل خاص أن يولي لها الأهمية التامة من أجل نقل دلالات أفعال الكلام إلى اللغة الهدف بأمانة.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

هوامش:

[1]ينظر: نعمان بوقرة، نحو نظرية لسانية عربية للأفعال الكلامية، قراءة استكشافية للتفكير التداولي في المدونة اللسانية التراثية، مجلّة اللغة والأدب، جامعة الجزائر، ع17 ،2006 ، ص 169.

[2] Orechioni, C. K : Enonciation de la subjectivité dans le langage, Armand Colin, (Paris), 1980, p. 185.

[3] Danielle-Claude Bélanger. Résumé de lecture. Cahiers de traductologie n° 4, éditions de l'Université d'Ottawa, (Canada), 1981, p 123.

[4]جون سيرل، العقل واللغة والمجتمع الفلسفة في العالم الواقعي، تر. سعيد الغانمي، الدار العربية للعلوم، المركز الثقافي العربي، منشورات الاختلاف، (بيروت– لبنان)،2006، ص203

[5] Danielle-Claude Bélanger, op-cit, p.124.

[6] Van Dijk.T.A., An Interdisciplinary Study of Global Structures in Discourse, Interaction, and Cognition, Hillsdale, N.J.: (Erlbaum), 1980, p 201.

[7] Danielle-Claude Bélanger, op-cit, p.125.

[8] Ibid, p.126.

[9] Ibid, p 129.

[10] Ibidem.

[11]فان دايك، النص والسياق، استقصاء البحث في الخطاب الدلالي التداولي، ترجمة: عبد القادر قنيني، أفريقيا الشرق، المغرب ، (بيروت، لبنان)، د ط، 2000، ص 316.

[12] John Searle, A classification of illocutionary Acts, Language In Society, Volume 5,Number 1, April ,1976, p.11

[13]يحي رمضان، القراءة في الخطاب الأصولي، الإستراتيجية والإجراء، عالم الكتب الحديث، (إربد–الأردن)، جدارا للكتاب العالمي، (عمان–الأردن)، ط1، 2007، ص 292.

[14]ينظر: محمد خان، لغة القران الكريم، دراسة لسانية تطبيقية للجملة في سورة البقرة، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، (عين مليلة، الجزائر)، ط 1، 2004، ص ص 221،222.

[15]الزركشي، البرهان في علوم القرآن، تح محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، (صيدا– بيروت)، د ط، 2005، ج2، ص 203.

[16]محمود بن عمر الزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، ضبط وتوثيق أبي عبد الله الداني بن منير آل زهدي، دار الكتاب العربي، (بيروت–لبنان)، ط1 ج1، 1427هـ–2006م ، ص 105.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

[17]الطاهر بن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر، تونس، المؤسسة الوطنية للكتاب، (الجزائر)، دط، ج1، 1984، ص 475.

[18]الزمخشري، مرجع سابق، ج1، ص 97.

[19]المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

[20]الزمخشري، مرجع سابق ، ج1، ص 145.

[21]الطاهر بن عاشور، مرجع سابق ، ج2، ص ص282،283.

[22]الزمخشري، مرجع سابق ، ج1، ص 224.

[23]الطاهر بن عاشور، مرجع سابق، ج2، ص 490.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com